١١

وكثيرا العكس لانا نقول ليس المراد التمام الحسي بل المعنوي لوقوع البركة والثواب العظيم عليه وان لم يتم حسا ثم رأيت بعض المحققين اجاب بقريب مما اجبت به وهو ان المراد بكونه ناقصا ان لا يكون معتبرا في الشرع الا ترى ان الامر الذي ابتدئ فيه بغير اسم الله غير معتبر شرعا وان كان تاما حسا والحمد مصدر حمد بالكسر وحكي الفتح ومدلول هذا اللفظ اعني مادة ح م د لغة الثناء باللسان على الجميل الاختياري على قصد التعظيم سواء تعلق بالفضائل اي الصفات الحسية التي لا يتعدى اثرها للغير ام بالفواضل وهي المتعدي اثرها فخرج باللسان الحمد النفسي ورد بان المقصود تحديده هو اللساني على ان تسمية الحمد النفسي ثناء حقيقة في محل المنع وانما يسماه مجازا عن كونه قولا والمجاز عنه في التعريف ففائدة ذكر اللسان ما يأتي وبالجميل الثناء به على القبيح بناء على رأي العز بن عبد السلام ان الثناء حقيقة ولو في الشر وفائدته على رأي الاكثر من انه حقيقة للخير فقط بيان الماهية او دفع توهم ارادة الجمع بين الحقيقة والمجاز عند من يجوزه كالشافعي رضي الله عنه وصنيع القاموس مشعر بترجيح الاول وبالاختياري الذي زاده الرافعي تبعا للفخر الرازي الثناء على الجميل الاضطراري كحسن الجوهرة فانه مدح لا حمد قال الرافعي لان الثناء على الشخص بما لا اختيار له فيه كحسن الوجه يطلق عليه المدح لا الحمد ومقتضى ما في الكشاف في الحجرات ان هذا في العرف واما في اللغة فلا مانع من كونه حمدا قال لانهم ارادوا صباحة المنظر في الغالب تنبئ عن اخلاق محمودة وعلى هذا يحمل ما مشى عليه في الفائق من ترادفهما وقوله في الكشاف انهما اخوان ظاهر في الترادف وان لم يكن صريحا فيه اذ من عادته في كتبه كما قال السعد التفتازاني انه يريد بذلك ان بينهما اشتقاقا كبيرا بان يشتركا في حروف الاصول من غير ترتيب كالحمد والمدح او اكبر بان يشتركا في اكثر الحروف فقط كالفلق والفلج مع اتحاد في المعنى او تناسب نعم للسيد هنا تحقيق دقيق ينبغي التفطن له وهو ان الجميل هنا يتناول الاختياري وغيره لكنه محمود به ثم قال ولابد ههنا من اعتبار قيد زائد وهو ان يكون ذلك الوصف بازاء امر اختياري هو المحمود عليه من نعمة او غيرها فيختص الحمد بالفاعل المختار دون المدح اذ يجوز فيه ان يكون الممدوح عليه كالممدوح به مما ليس باختياري انتهى وحاصله ان المحمود به لا يشترط كونه اختياريا بخلاف المحمود عليه وان الممدوح به وعليه لا فرق بين ان يكون بازاء امر اختياري او غيره وقيل الحمد ما نشأ عن علم وكان بصفة كمال والمدح ما نشأ عن ظن وكان بصفة مستحسنة وتحقيق ما اشار اليه من تغاير المحمود به وعليه ان كلا من مفهوم الحمد والشكر والمدح لابد فيه من خمسة امور وصف وهو الحمد مثلا وواصف وموصوف وموصوف عليه وموصوف به ووجه تغاير الاخيرين ان الواصف كالحامد هنا كثيرا ما يلاحظ في موصوف صفة من صفاته ثم يصفه بسبب ملاحظة هذه الصفة بما فيه من سائر صفاته وقد يتغايران اعتبارا فقط كان حمده على شجاعته بها فان فيها حيثيتين كونها موصوفا بها وعليها فهي باعتبار الاولى محمود بها

وباعتبار

٦ ١٢

وباعتبار الثانية محمود عليها وبيانه ان المحمود به ما يقع به الحمد هذا وقيد الاختياري يخرج وصف الله سبحانه وتعالى بصفاته الذاتية عن ان يسمى حمدا اللهم الا كما زعمه بعضهم وهو فاسد بل الصواب انه لا يخرجها لانه يتناولها تبعا او لانها مختارة له بمعنى ان اثارها اختيارية او ان ذاته المقدس لما كان كافيا فيها كان بمنزلة الافعال الاختيارية يستقل بها فاعلها فاطلق الاختياري على ما يعمها تغليبا وحاصله دفع فساد العكس بارتكاب مجاز في التعريف من غير قرينة اذ خفاء المراد اخف عندهم منه وبالاخير ما كان على جهة السخرية نحو ذق انك انت العزيز الكريم ورد بانه ليس ثناء بالجميل اذ شرطه مطابقة الاعتقاد والجوارح له والا كان تهكما او تمليحا بل هو وصف باعتبار ما كان او باعتبار ضد حالة المتهكم فيها فهو مجاز وهو عنه في التعريف فالتحقيق انه للبيان ودفع توهم دخول صورة التهكم وان لم يشملها الجنس لا يقال فقد اعتبر في الحمد فعل الجنان والجوارح ايضا لانا نقول كل واحد منهما كما اشرنا اليه شرط لكون فعل اللسان حمدا وليس شيء منهما جزءا منه ولا جزئيا له وبما تقرر يعلم ان حد الحمد بالثناء فقط كاف بناء على ما مر وان مورد الحمد خاص ومتعلقه عام وان كان حمده تعالى لا يمكن ان يكون الا في مقابلة نعمة اذ الحمد نفسه نعمة الا ان يصرفه الحامد بان يقصد ان حمده ليس في مقابلته بل لاستحقاقه تعالى له وان انتقم وعرفا اي في عرف محققي العلوم العقلية فعل ينبئ عن تعظيم المنعم من حيث انه منعم على الحامد او غيره وهذا هو الشكر لغة ومعنى انبائه الاعتقاد عن التعظيم بالنسبة لغيره تعالى ايذانه به لو اطلع عليه باخبار او الهام وان سمي الاخبار شكرا ايضا وقول بعض اللغويين الشكر الثناء على المحسن معارض بتصريح الاكثرين بخلافه واراد بالثناء معناه المجازي ايضا واذا تقرر ذلك فمورد العرفي اعم ومتعلقه اخص عكس اللغوي فبينهما عموم وخصوص من وجه لاجتماعهما في ثناء بلسان في مقابلة نعمة كالثناء على زيد بالكرم في مقابلة كرمه والمغايرة الاعتبارية بين المحمود به وعليه في نحو ذلك كاف فيه كما علم مما مر وانفراد الاول في ثناء لا يقابلها والثاني في ثناء بالاركان والجنان في مقابلتها فعلم ان الوجهي لابد من تحققه في ثلاث صور والشكر عرفا صرف العبد جميع ما انعم الله به عليه من السمع والبصر وغيرهما الى ما خلق لاجله كصرفه النظر الى مطالعة مصنوعاته والسمع الى تلقي ما ينبئ عن فعل مرضياته واجتناب منهياته قيل وصرف الجميع لواحد اعتبارا كالعكس وان كان افعالا حقيقية فيصدق عليه الحمد العرفي وفيه نظر بل التحقيق انه اخص مطلقا من الثلاثة قبله لاختصاص متعلقه به تعالى ولاعتبار شمول الالات فيه بخلاف الثلاثة قبله قال السيد وما يقال من ان النسبة بالعموم المطلق بين العرفيين انما يصح بحسب الوجود دون الحمد الذي كلامنا فيه لان الحمد كصرف القلب مثلا فيما خلق لاجله جزء من صرف الجميع غير محمول عليه لامتيازه في الوجود عن سائر اجزائه فغلط من باب اشتباه مفهوم الشيء بما صدق عليه فان ما ليس محمولا على ذلك العرف هو ما صدق عليه الحمد اعني صرف

Copyright © King Saud University